مطرانية ملوى وانصنا والأشمونين

المحبة الطاهرة

الأنبا بيمن

صاحب القداسة

البابا شنودة الثالث

المحبة الطاهرة

ما هى المحبة وما هو الحب الحقيقى ؟

هناك ثلاثة أنواع من الحب يلزمنا أن نوضح كل واحد منها حتى نفرق بين المحبة المسيحية الحقيقية والمحبة الغاشة .

النوع الأول : ويسمى (ايروس) العشق .

وهذا النوع هو الحب الجسدى ، الحب الذاتى المتمركز حول الأنا .. هو عشق للذات وتثبيت لمرحلة الطفولة .

ولكن هذا النوع ليس حباً وإنما هو عبودية .. والإنسان عندما يقع فى عبودية حبه لنفسه فإنه يسجنها ويفقدها معنى الحب وفاعليته .. والحب الايروسى صورة ناقصة من صور الحب .. إنه دائرة مغلقة ، كل من يحبس نفسه فيها يصير سجيناً .. يتوهم أنه قادر على

الانطلاق ولكنه حبيس لا يرى نور الحرية لأنه فى قبر الذات يعيش . . إن الحب الحقيق لا يكتمل إلا فى الآخر . . والآخر هو الذى يقضى على العزلة وينتزع النفس من الأنانية المرة . . وإذا أحب العاشق فإنه يحب نفسه فى الآخر أنه لا يحب الآخر كما هو . إن العشق تمركز ذاتى ، ذلك لأن العاشق يتصور نفسه مركز الدائرة ويريد أن يدور الآخر فى فلكه . .

هذه هى طبيعة الجسد . . يعشق ولا يحب ، يشتهى ولا يبذل . يتلذذ ولا يرضى بجراح المسئولية والالتزام . .

النوع الثانى : التجاوب العاطفى . .

ليس التعاطف مجرد مشاركة وجدانية فى الألم والسرور فحسب بل هو أيضاً وظيفة حيوية هامة تشعرنى بأن ثمة تساويا فى القيمة بين ذاتى وذوات الآخرين . . من حيث هم موجودات بشرية أو كائنات حية . . ولكن الأمر الذى يجب أن نشير إليه هو أن المشاركة الوجدانية والتعاطف ليس نفاذا مطلقاً أو اختراقاً تاماً

لشخصية الآخر . . ليس من شأن التجاوب العاطفى أن يصهر «الذوات»(١) فى بوتقة واحدة أو أن يذيب الفوارق الفردية القائمة بين الشخصيات . . لا بد أن نفهم أن التعاطف بمجرد مشاركة وجدانية تفترض الانفصال بين الذوات . . وتظل محتفظة بتلك المسافة أو ذلك البعد الذى يفصل بين الشخصيات . .

ويعطى كثير من العلماء أهمية لوظيفة الاخلاقية للتعاطف ويرون فيها بداية الطريق إلى محبة القريب .

والحقيقة أن التجاوب العاطفى والمشاركة الانسانية أرقى فى مستواها كثيرا من العشق الايروسى . . ولكنها — مسيحياً — مشاعر إنسانية أرضية نابعة من طبيعة الجسد . . وكل ما ينبع من الجسد - مهما كان رقيه — فهو فى نظر الانجيل موت ، لان الذين يسلكون حسب الجسد فحسب الجسد يموتون .

* * *

(١) جمع كلمة ذات

النوع الثالث : المحبة (أغابيه)

لقد رسم الكتاب المقدس صورة الحب فى النموذج الذى قدمه الآب السماوى عندما أحبنا فبذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به وأوضحه الأبن عندما قدم ذاته على الصليب لأجل خلاص الكنيسة . . فكما أحب المسيح الكنيسة حباً قائماً على البذل الحقيقى على مستوى الموت ، فإن المسيحى لا يكون له حب صادق طاهر إلا على هذا المستوى وبمثل هذه النوعية . . على ذلك فليس هناك حب صادق إلا من خلال المسيح وبعمل الروح القدس وحده . .

« لأن المحبة قد انسكبت فينا بالروح القدس »

فالمحبة المسيحية الحقيقية ما هى إلا حضور الرب يسوع فى قلب المؤمن لأن يسوع وحده هو المحبة . . وإن لم يكن يسوع هو مصدر هذه المحبة وإن لم يكن الروح القدس هو ينبوعها فهى محبة ذاتية بشرية أرضية غير مرضية أمام الآب السماوى مهما كانت صورها الخلقية غاية فى الرقى الإنسانى . .

واذا كان ما يميز الايروس هو (التمركز حول الذات)، فإن ما يميز الاغابية هو (التمركز حول الله)، وعلى حين أن الايروس رغبة وشوق واشتهاء، نجد أن الاغابية بذل وعطاء وتضحية بالذات. . فالايروس ينشد متعة الذات، فى حين أن الاغابية تهب نفسها للآخرين.

* * *

أهمية الاغابية فى الحياة المسيحية:

بدون المحبة لا تستطيع النفس الاقتراب إلى الله لأن الله محبة. وبدون المحبة لا تستطيع الكنيسة أن تكون كنيسة لأن الرأس حب كامل فكيف يكون الجسد جسدا للرب وهو خال من الحب..

إننا نستطيع أن ندرك عمق المحبة وأهميتها فى حياة الرب يسوع وخاصة فى الساعات الأخيرة من حياته على الأرض عندما كان يصلى فى البستان لأجل خاصته ولأجل المؤمنين، وعندما قدم نفسه

وهى تلاميذه . . وهكذا كان جسده المكسور ودمه المسفوك هما التقدمة الغالية التى أعطاها لتلاميذه ليلة الآمه كى يكون قوة لكل مؤمن يستطيع من خلال سر الشركة أن يقدم حياته بذلا لأجل الآخرين وفدية عن العالم الفاسد الشرير .

ولكى ندرك مدى أهمية المحبة فى حياة المسيحى نسرد هذه الآيات من رسالة معلمنا يوحنا الاولى :

— من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن فى الظلمة .

— من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة ، وفى الظلمة يسلك ولا يعلم إلى أين يمضى لان الظلمة أعمت عينيه (١ يو ٢ : ٩ — ١١) .

— كل من يحب فقد ولد من الله ومن لا يحب لم يعرف الله لان الله محبة (١ يو ٤ : ٧ — ٨) .

وهكذا نجد أن المسيحية تعتبر الثبوت فى المحبة ثبوتاً فى الله وثبوتاً فى النور وولادة من الله ومعرفة حقيقية للحق .

إنها الدلالة القاطعة على حياة التجديد والإنتقال من ظلمة الإنسان العتيق إلى حياة البر الأبدية .

الاغابية والآخرون :

إن المحبة المسيحية تضع محبة القريب شرطاً أساسياً لضمان سلامة نوعيتها فالرسول يوحنا يقول « إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره ؟

فالذي يحب الله يحب أخاه أيضاً (١ يو ٤ : ٢٠ — ٢١) فالمسيحية تطلب منا أن نكون (أغابية) عاملة تنحني على جراح البشرية وتمسح دموعهم وتأخذ بأيديهم .. (كل ما فعلتموه بهؤلاء الأصاغر فبي أنا فعلتم » .. والرسول بولس يضرب مثلا رائعاً في محبة الأخوة روحياً عندما يقول « إنني كنت أود أن أكون أنا نفسي محروماً من المسيح من أجل أخوتي أنسبائي في الجسد » وفي موضع آخر يقول « من يعثر وأنا لا أعثر . من يضعف وأنا لا التهب » .

سمات المحبة المسيحية :

ـ محبة إلهية من خلال المسيح ـ غير متحيزة ـ غير نفسانية ـ غير نفعية وهى موحدة تجمع ولا تفرق ـ تربط ولا تقسم . .

ـ محبة روحية من خلال الحق (ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس) . لا تجامل على حساب الحق ولا تقبح دفاعاً عن الحق . .

ـ محبة داخلية من خلال الإختبار . يعمقها ويسندها ذخيرة فى أعماق الكيان .

ـ محبة محتملة من خلال الانفتاح والإستنارة والبذل العملى فهى لا تعرف الانكماشية أو التقوقع أو التعصب .

مسئوليات المحبة المسيحية :

لقد أوضح الرسول بولس مسئوليات المحبة عندما تحدث فى رسالته الأولى لاهل كورنثوس عن أهمية المحبة وتفوقها عن كافة المواهب الروحية بقوله « إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاسا يطن أو صنجاً يرن . . .

إن كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً ..

— المحبة تتأنى وترفق . . هذه مسئولة الصبر والترفق على الضعيف .

— المحبة لا تحسد . . هذه مسئولية مباركة وتطويب مواهب وحاجات الآخرين حتى لا يدخل الحسد إلى قلب المؤمن .

— المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ذلك لأنها وديعة متضعة فلا يدخل أصبع ابليس المتكبر المنتفخ ليلوثها ، إنها لا تعزل نفسها عن الآخر حتى تتعالى عليه .

— المحبة لا تقبح ولا تطلب ما لنفسها . وذلك لأنها طاهرة بفعل الروح القدس روح الحب والقداسة .

— المحبة لا تحتد ولا تظن السوء . . وسر عدم الاحتداد هو رقتها وترفقها واتضاعها واحتمالها وطول أناتها وصبرها .

— وهى لا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق . ذلك لأنها تتجه إلى

الحق وتثبت فى النور فلا تتجه إلى ظلمة الاثم والشر ، من يفعل الحق يقبل إلى النور ، ومن يحب يثبت فى النور » .

وهكذا نرى أن كل من يحب — بروح مسيحية — يثبت فى النور والحق . . والمسيحى لا يحب ولا يفرح إلا من خلال الحق وحده .

— وهى تحتمل كل شىء وتصدق كل شىء وترجو كل شىء وتصبر على كل شىء . . . « المحبة لا تسقط أبداً » (١ كو ١٣) .

والرسول يوحنا يؤكد لنا أهمية الفاعلية العملية للمحبة من مودة وخدمة الطاعة وعطف وانفاق مادى ومعنوى لأن هذه هى التى تبرهن على صدق المحبة وأصالتها ونقاوتها . . « يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق . . من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه » (١ يو ٣ : ١٧ - ١٨) .

مواقف للمحبة العملية :

— قصة الأخين والقمح من منهج مدارس التربية الكنسية .

— قصة ابرهيم الجوهري وأخيه الذى أهين من أحد العامة .

— قصة عنقود العنب الذى أرسل لدير فى غير ميعاده ، ومر على جميع الرهبان ، وكل راهب يعطيه لأخيه حباً وتفضيلا .

— محبة القديسة بربارة لوالدها الوثنى وصلاتها لأجله ولأجل الوالى الذى عذبها — محبة استفانوس لأجل راجيه — محبة بولس لأجل مخدوميه (من يعثر وأنا لا أعثر من يضعف وأنا لا التهب)

— قصص من سير الأنبا بيشوى والأنبا صرابامون والأنبا أبرآم (راجع بستان الرهبان والسنكسار وتاريخ الكنيسة) .

مقتطفات من أقوال الآباء(١)

أهمية المحبة :

+ « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الاخوة » ١ يو ٣ : ١٤

+ إن كان فى القلب محبة للاخوة لكن فى راحة لأننا انتقلنا من الموت إلى الحياة . . . حقاً إن الحياة تكمن فينا ، لكن كما فى الشتاء الجذور حية ، لكن الفروع كما لو كانت جافة ، فى الداخل تكمن الحياة فينا فى الداخل أوراق الشجر ، وفى الداخل تكمن الثمار ، لكن هذا كله يترقب مجىء الصيف » أغسطينوس .

المحبة بلا غرض أو منفعة :

إن أحب أحد الله من أجل المرئيات فحبه جسدانى ، وإن كان الإنسان يحب الله بدون غرض فحبه روحانى . وهذا الحب محفوظ لنا فى حياة ما بعد القيامة » القديس يوحنا التيابيسى

---

(١) راجع كتاب الحب الأخوى للقس تادرس يعقوب .

النمر فى المحبة :

+ كما أن الجنين الذى فى الرحم لا يبلغ الرجولية فى لحظة ، بل تبدأ فيه الصورة والميلاد رويداً رويداً ، وكما أن حبوب القمح والشعير لا تثمر حالما تبذر فى الأرض . . كذلك الأمور الروحية فيها حكمة ودقة عظيمة فإن الانسان ينمو درجة فدرجة ، ويعلو إلى قامة تامة (اف ٤ : ١٣) مقاريوس الكبير

المحبة يلزم أن تكون عملية

إن سيدنا لم يعلمنا أن نحفظ جميع الوصايا بالكلام فقط بل أرانا ذلك بأفعاله أيضاً لأنه مكتوب أنه ابتدأ يعمل ويعلم ويكمل جميع الوصايا واحدة واحدة . .

وهذه جميعها أكملها بالفعل . . فلا يمكن للإنسان أن يكون محباً إلا بحفظ الوصايا عملياً وإن لم يحفظها فإنه لا يرث الحياة .

مار فليكسينوس

المحبة يلزم أن تكون طاهرة :

الذى يحب الرب فهو يحب الكل ، فيا أولادى الأحباء لا تكلوا ولا تملوا من محبة بعضكم لبعض بل اجعلوا هذا الجسد الذى تلبسونه بحمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم إلى الرب برفع عقولكم إليه وتقديم قلوبكم له . واطلبوا منه أن يوقد فيكم نار محبته لتحرق وتطهر كل ما فى تلك الحمرة . . أنطونيوس الكبير

مراجـــع للمقال :

ـ الكتاب المقدس : كورنثوس الاولى اصحاح ١٣ ـ رسائل يوحنا الرسول .

ـ بستان الرهبان : طبعة بنى سويف .

ـ الأب متى المسكين . مقال عن المحبة ، بمجلة مرقس ، نوفمبر سنة ١٩٦٩ .

ـ القس تادرس يعقوب : الحب الأخوى .

ـ الانبـــا بيمـــن : * سر الحب .

* التدين السليم .

* نشرة المسيحية إلتهاب (مجلة مرقس) .

ـ دكتور زكريا ابراهيم : مشكلة الحب.

يطلب من
المكتبة المرقسية بملوى — ص. ب ١٣
وجميع المكتبات المسيحية